(٩)

مسالة فى المنامات

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة :

في المنامات صحيحة هي أم باطلة ؟ ومن فعل من هي ؟ ومن أي جنس هي ؟ وما وجه صحتها في الاكثر ؟ وما وجه الانزال عند رؤية المباشرة في المنام ؟ .

وان كان فيها صحيح وباطل فما السبيل الى تمييز أحدهما من الاخر[1] ؟ .

الجواب وبالله التوفيق :

من كلام المرتضى (قدس الله روحه) سادسة المسائل التي سألت عنها :

اعلم أن النائم غير كامل العقل ، لان النوم ضرب من السهو ، والسهو ينفي العلوم ، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة ؛ لنقصان عقله وفقد علومه .

---

١) خ ل : صاحبه .

وجميع المنامات انما هي اعتقادات يبتدأ بها النائم في نفسه ، ولايجوز أن يكون من فعل غيره فيه في نفسه ، لان من عداه من المحدثين ـ سواء كان بشراً أوملائكة أوجناً ـ أجسام ، والجسم لايقدر أن يفعل في غيره اعتقاداً ، بل ابتداءاً . ولا شيئاً من الاجناس على هذا الوجه ، وانما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء .

وانما قلنا انه لايفعل في غيره جنس الاعتقادات متولداً ، لان الذي يعدى الفعل من محل القدرة الى غيرها من الاسباب انما هو الاعتمادات ، وليس في جنس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات . ولهذا لواعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ماتولد فيه شيء من الاعتقادات .

وقد بين ذلك وشرح في مواضع كثيرة .

والقديم تعالى هو القادر أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات . ولايجوز أن يفعل في قلب النائم اعتقاداً ، لان أكثر اعتقاد النائم جهل وتناول الشيء على خلاف ماهو به ، لانه يعتقد أنه يرى ويمشي وأنه راكب وعلى صفات كثيرة ، وكل ذلك على خلاف ما هو به ، وهو تعالى لايفعل الجهل ، فلم يبق الا أن الاعتقادات كلها من جهة النائم .

وقد ذكر في المقالات أن المعروف بـ « صالح قبة » كان يذهب الى أن ما يراه النائم في منامه على الحقيقة . وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائية ، لان النائم يرى أن رأسه مقطوع ، وأنه قدمات، وأنه قد صعد الى السماء. ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله .

واذا جاز عندصالح هذا أن يعتقد اليقظان في السراب أنه ماء وفي المردى اذا كان في الماء أنه مكسور وهوعلى الحقيقة صحيح اضرب من الشبهة واللبس والاجاز ذلك في النائم ، وهو من الكمال أبعد والى النقص أقرب .

وينبغي أن يقسم مايتخيل النائم أنه يراه الى أقسام ثلاثة :

منها : مايكون من غير سبب يقتضيه ولاداع يدعو اليه اعتقاداً مبتدءاً .

ومنها : مايكون من وسواس الشيطان ، ومعنى هذه الوسوسة أن الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفياً يتضمن أشياء مخصوصة ، فيعتقد النائم اذا سمع ذلك الكلام أنه يراه . فقد نجد كثيراً من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم ، فيعتقدون أنهم يرون ذلك الحديث في منامهم .

ومنها : مايكون سببه والداعي اليه خاطراً يفعله الله تعالى ، أويأمر بعض الملائكة بفعله .

ومعنى هذا الخاطر أن يكون كلاماً يفعل في داخل السمع ، فيعتقد النائم أيضاً مايتضمن ذلك الكلام. والمنامات الداعية الى الخير والصلاح في الدين يجب أن تكون الى هذا الوجه معروفة ، كما أن مايقتضي الشر منها الاولى أن تكون الى وسواس الشيطان مصروفة .

وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه ، ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حدّ ما يراه في منامه . وفي كل منام يصح تأويله أن يكون سبب صحته أن الله تعالى يفعل كلاماً في سمعه بضرب من المصلحة ، بأن شيئاً يكون أوقد كان على بعض الصفات ، فيعتقد النائم أن الذي يسمعه هو يراه .

فاذا صح تأويله على مايراه، فما ذكرناه أن لم يكن مما يجوز أن تتفق فيه الصحة اتفاقاً ، فان في المنامات مايجوز أن يصح بالاتفاق ومايضيق فيه مجال نسبته الى الاتفاق ، فهذا الذي ذكرناه يمكن أن يكون وجهاً فيه .

فان قيل : أليس قد قال أبوعلي الجبائي في بعض كلامه في المنامات : أن الطبائع لا تجوز أن تكون مؤثرة فيها ، لان الطبائع لا تجوز على المذاهب الصحيحة أن تؤثر في شيء، وأنه غير ممتنع مع ذلك أن يكون بعض المآكل

يكثر عندها المنامات بالعادة ،كما أن فيها مايكثر عنده بالعادة تخييل الانسان وهو مستيقظ ما لا أصل له .

قلنا : قد قال ذلك أبوعلي، وهوخطأ، لان تأثيرات المآكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة ، اذا لم تكن مضافة الى الطبائع ، فهو من فعل الله تعالى ، فكيف تضيف التخيل الباطل والاعتقاد الفاسد الى فعل الله تعالى .

فأما المستيقظ الذي استشهد به ، فالكلام فيه والكلام في النائم واحد ، ولايجوز أن نضيف التخيل الباطل الى فعل الله تعالى في نائم ولايقظان .

فأما مايتخيل من الفاسد وهوغير نائم ، فلابد من أن يكون ناقص العقل في الحال وفاقد التمييز بسهو وما يجري مجراه ، فيبتدأ اعتقاداً لا أصل له،كما قلناه في النائم .

فان قيل : فما قولكم في منامات الانبياء عليهم السلام وما السبب في صحتها حتى عد ما يرونه في المنام مضاهياً لما يسمعونه من الوحي ؟ .

قلنا : الاخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحتها ، ولاهي مما توجب العلم ، وقد يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبي بوحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم :أني سأريك في منامك في وقت كذا مايجب أن تعمل عليه . فيقطع على صحته من هذا الوجه، لابمجرد رؤيته له في المنام .

وعلى هذا الوجه يحمل منام ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده . ولولا ما أشرنا اليه كيف كان يقطع ابراهيم عليه السلام بأنه متعبد بذبح ولده ؟ .

فان قيل : فما تأويل مايروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « من رآني فقد رآني فان الشيطان لايتمثل بي »[١] وقدعلمنا أن المحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبي صلى الله عليه وآله ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما

---

١) سنن ابن ماجة ٢/١٢٨٤ ، الرقم ٣٩٠١ .

يخبر به الاخر ، فكيف يكون رائياً له في الحقيقة مع هذا ؟ .

قلنا : هذا خبر واحد ضعيف من أضعف اخبار الاحاد ، ولامعول على مثل ذلك . على أنه يمكن مع تسليم صحته أن يكون المراد به : من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة ، لان الشيطان لا يتمثل بي لليقظان . فقد قيل : ان الشيطان ربما تمثل [1] بصورة البشر .

وهذا التشبيه أشبه بظاهر ألفاظ الخبر ، لانه قال : من رآني فقد رآني ، فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئية ، وفي النوم لارائي له في الحقيقة ولامرئي ، وانما ذلك في اليقظة . ولوحملناه على النوم ، لكان تقدير الكلام : من اعتقد أنه يراني في منامه وان كان غير راء له في الحقيقة ، فهو في الحكم كأنه قد رآني . وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته .

وهذا الذي رتبناه في المنامات وقسمناه أسد تحقيقاً من كل شيء قيل في أسباب المنامات ، وماسطر في ذلك معروف غير محصل ولامحقق .

فأما مايهذي اليه الفلاسفة ، فهو ممايضحك الثكلى ، لانهم ينسبون ماصح من المنامات لما أعيتهم الحيل في ذكر سببه الى أن النفس اطلعت الى عالمها فأشرفت على مايكون .

وهذا الذي يذهبون اليه في الحقيقة النفس غيرمفهوم ولامضبوط ، فكيف اذا أضيف اليه الاطلاع على عالمها . وما هذا الاطلاع والى أي يشيرون بعالم النفس ؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطلاع ؟ .

فكل هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لايتحصل منها شيء وقول صالح فيه ، مع أنه تجاهل محض أقرب الى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة ، لان صالحاً ادعى أن النائم يرى على الحقيقة ماليس يراه ، فلم يشر الى أمر غيرمعقول ولا

---

١) في المخطوطة « تمثلت » .

مفهوم ، بل ادعى ماليس بصحيح وان كان مفهوماً ،وهؤلاء عولوا على مالايفهم مع الاجتهاد ، ولايعقل مع قوة التأمل ، والفرق بينهما واضح .

وأمـا سبب الانزال ، فيجب أن يبنى على شيء تحقيق سبب الانزال في اليقظة مع الجماع ، ليس هذا مما يهذي بـه أصحاب الطبائع ، لانا قد بينا في غير موضع أن الطبع لا أصل له ، وأن الاحالة فيه على سراب لايتحصل .

وانمـا سبب الانزال أن الله أجرى العادة بأن يخرج هذا المـاء من الظهر عند اعتقاد النائم أنه يجامع ، وان كان هذا الاعتقاد باطلا . والحمدلله .